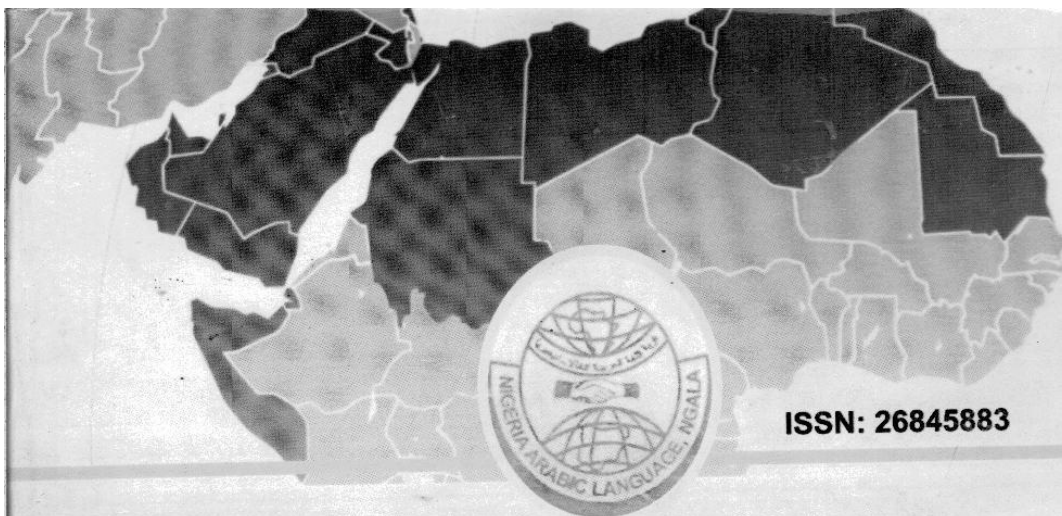




ISSN: 26845883

AL-QARYAH

INTERNATIONAL JOURNAL

(An Annual Peer Reviewed: Arabic Cultural Journal)

PUBLISHED BY:

**NIGERIA ARABIC LANGUAGE VILLAGE
NGALA, NIGERIA.**

(Inter-University Centre for Arabic Studies)

VOL. 2. NO. 2 (JULY 2018)

ISSN



26845883

أثر العلماء المغاربة في بعض إنتاجات علماء نيجيريا

إعداد

د. حسين موسى محمد البشير

محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن- نيجيريا.

08034287956

المقدمة

تحتل المملكة المغربية مكانة عالية بين الدول العربية الأفريقية لاحتضانها كبار العلماء وعباقرهم، ولعل ذلك يرجع إلى إستراتيجية موقعها الجغرافي حيث إنها تطل على البحر الأبيض المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا وتتاخم الجزائر شرقا وموريتانيا جنوبا. وهذا الجو العليل هبأ العلماء المغريين، خاصة بعد دخول العرب المسلمين المغرب أثناء الفتوحات الإسلامية لأن يبدعوا ويؤلفوا أسفاراً من الكتب في شتى معارف الوحي والعلوم الكونية، خاصة في مجالات التعليم والدعوة والتأليف والجانب الروحي. ومن أشهر هؤلاء العلماء العباقرة الربانيين الشيخ سليمان الجزولي صاحب "دلائل الخيرات"، والشيخ أحمد التجاني صاحب طريقة صوفية منتشرة في بلاد المغرب وإفريقيا الغربية، والشيخ الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي صاحب الكتاب "نيل الأمان في شرح التهاني". تهدف هذه المقالة تسليط بصيص من الضوء على تأثير هؤلاء العلماء المغريين في إنتاجات بعض علمائنا النيجريين، ومدى تأثيرهم بتلكم الجوانب الحياتية المذكورة.

تأثر العلماء النيجريين بعلماء المغرب

دخلت الحضارة العربية الإسلامية شمال إفريقيا عن طريق الدعوة السلمية والتعليم، والتجارة، وصارت العربية أداة التخاطب والتفاهم لدى كثير من شعوب أفريقيا؛ يكتبون بها وثائقهم العلمية، ومراسلاتهم الإخوانية، والديوانية، وخطبهم المنبرية، وثقافتهم الأدبية،

ويستخدمونها في انشطتهم الدعوية والصوفية. وأكدت المصادر التاريخية أن الانتشار الإسلامي في غرب القارة الإفريقية بدأ منذ القرن الأول الهجري، ودخل كانم برنو في القرن الحادي عشر الميلادي، ودخل كستنا وكنو في القرن الرابع عشر، وصكتو¹ وإلورن في القرن الثامن عشر.² ودخل الإسلام بلاد يوربا على أيدي العلماء والتجار الماليين ولذلك أطلقوا على دين الإسلام اسم "Esin Imale" أي دين الماليين، وهم قوم امتلكوا الجزء الأكبر من غرب أفريقيا في القرن الثالث عشر الميلادي من أيام ماري جاطه المتوفى 1300م إلى أيام المنسا موسى الذي طبقت شهرته الآفاق.

ووفد إلى مدينة إلورن أعلام نبلاء قطعوا الفيافي وبذلوا كل غال ونفيس في أخذ العلم من ذويه، وأسسوا كتاتيب ودهاليز ومساجد في ديار إلورن، وعلى رأس هؤلاء الشيخ صالح مؤدبو الملقب بـ (عالم)، والشيخ أبو بكر بوبى، والشيخ بيغوري، والشيخ رفوغو، والشيخ تاكتي وغيرهم كثيرون، وقد وضع هؤلاء لبنة أساسية متينة للنهضة العلمية في إلورن وبلاد يوربا عامة، وبتأثير السابق في اللاحق استمرت الحركة على أيدي شباب المدينة الذين خلفوهم أمثال الشيخ أبو بكر إكوكورو (ت: 1936)، والشيخ محمد الجامع اللبيب "تاج الأدب" (ت: 1923م).³

وأما الحديث عن التأثير والتأثير في مجال التأليف فخير دليل على ذلك ما نرى عند علامة السودان الشيخ عبد الله بن فودي في جيميته حيث تأثر بالشيخ الحسن بن مسعود اليوسي في داليتة، وزنا وخیالا وقوة، ومما ورد في الجيمية من مدح الشيخ عثمان بن فودي قوله:

عثمان من قد جاءنا في ظلمة * فأزاح عنا كل أسود دجـدج
ودعى إلى دين الإله ولم يخف * في ذاك لومة لائم أو فجـفـج
فانصـات خلق حين صـات لصوته * وعلا له صـيت فـويـق الأبرج
بشـرى لأمة أحمد ببلادنا السـ * سودان في هذا الزمان المـبـهـج

كم سنة أحييتها وضلالة ** أحمدتها حمرا ذكي بتأجج
 وطلعت في أرض عوابدها عدت ** وتخالفت سنن النبي الأجمع
 استعظمتها أهلها فاستأسدت ** وصدت دوير الدين باب الولج
 فاستنشرت بغثائها وتنمرت ** جردانها ترمى بنصل سلمج
 من أراد دين الله يحو عزها ** فقمعتها قمع القوي الأعوج
 فقصمتها بالبيض من آياته ** وأسنة سنن النبي الأدعج
 صلى عليه الله ما هز الصبا ** عذبات غصن في الرياض خربج⁴

ثم قارن ذلك بقول اليوسي في داليته:

كم سنة أحييت بعد إماتة ** وضلالة أخدمت بعد توقد
 وافيت والبدع الحوادث قد دجت ** ظلماتها والجهل واري الأزند
 والدين مطموس المعالم والهدى ** بيض الأوق ولقطة لم تنشد
 والسنة الغراء قفر موحش ** ما فيه من هاد ولا من مهتد⁵

إن تأثر ابن فودي بالشيخ الحسن اليوسي في جيمته لواضح وضوح الشمس في كبد السماء؛ فلولا اختلاف الروي لاختال القارئ أن هذا هو ذاك لشدة التشابه بينهما. ونضيف إلى ذلك أن دالية اليوسي منتشرة ومشهورة في مجتمع نيجيريا المسلم، لأنها تحتوي على أغراض نبيلة، وآداب جلية، ومواعظ آثرة، وحكم بالغة رائعة كما تتسم بالفاظ جزلة موحية، وتعايير متناسقة، ومعاني سامية. ولقد ظفرت بقبول حسن لدى المتصوفة شيوخهم ومريديهم، ولدى الأكاديميين أساتذتهم وتلاميذهم مما يدل على المكانة التي تحتلها في نيجيريا، فقل أن تحضر حلقة من حلقات الوعظ والإرشاد أو محاضرة علمية من دون أن تسمع الناس يستشهدون بأبيات دالية الأليوسي.

التأثر والتأثير في مجال التعليم

هناك مؤسسات تعليمية تعد من أهم المراكز العربية التي أنارت بلاد نيجيريا علما وثقافة، وتأثر بها علماؤها، وتعتبر جزئية لا تكاد تنفصل عن آثار المغاربة في البلاد، وتلك المؤسسات التعليمية تتمثل في ثلاث مدارس هي مدرسة القيروان التي تم تأسيسها على يد عقبة بن نافع وتجمع فيها الصنهاجيون لتلقي مبادئ الإسلام وذلك في سنة 40 للهجرة النبوية الشريفة. تليها مدرسة فأس التي تتقف بها الوناغرة الذين أسسوا بتمبكتو جامعة سنكوري بعد تخرجهم في تلك المدرسة. ومما أهل علماء تمبكتو للإقدام لتأسيس تلك المؤسسة الأكاديمية العريقة طول باعهم ورسوخ قدمهم في العلوم العربية وثقافتها الأدبية. وقد وجد بمالي علماء أكفاء في عهد منسا سليمان وكان معظمهم من البرابرة والمغاربة أمثال محمد بن الفقيه الجزولي، وموسى الونغري، وسعيد بن علي الجزولي الذي يعد شيخا للمغاربة في مالي⁶.

وكما أدت مدرسة القيروان أدوارا كبيرة في تخريج علماء مثقفين قامت نظيرتها مدرسة تلمسان بتثقيف مئات من العلماء الفقهاء المؤرخين الأدباء، وأتت مدرسة تونس بعدهما لتكون ثالثة الأثافي. وإلى أدوار المدارس الثلاث أشار العلامة الإلوري بقوله:

وهذه المدارس الثلاث ظلت ردحا من الزمان تنافس الجامع الأزهر في مصر وكلها كانت تمد غرب أفريقيا بالعلم حتى نبغ فيها العلماء، وهذا كله من آثار المغاربة رغم كون البلاد اليوم قد توزعت في حدود مصطنعة فالمغرب في المغرب، إن فات ذكرهم في سجل التاريخ فيكفي أن الإسلام لا يزال هناك، وأن الدول والحكومات الإسلامية ظلت تتوالى، وجاء بعد منسا موسى الذي عاش 120 عاما ملوك مالي كثيرون إلى أن ضعفت وقامت بعدها ملوك سنغاي حتى أتى سن علي وبعده أبو بكر التوري الشهير بأسكيا الذي جاء في عصره الإمام المغيلي إلى نيجيريا حوالي 1460م.⁷

وتردد المغيلي على أعلام المغرب أخذوا للعلم والثقافة الأدبية حتى نبغ في جميع فنون المعرفة، فحدث بينه وبين ذويه من معاصريه مناظرات ومكاتبات، وطاف البلدان السودانية نشرا للعربية وبلاغتها وأدبها وتاريخها فزار كاشنة وكنو وأكدر وسنغاي ومالي وتكدا. وقد أورد العلامة الإلثوري تلاميذه بقوله:

ومن أشهر الذين أخذوا منه من أعلام السودان العاقب بن عبد الله الأنصمي الأكدرسي، القاضي محمد بن أحمد التادلي الملقب بإيد أحمد، ومحمد بن عبد الجبار الفحيجي من مشاهير علماء المغرب، وقد تأثر بالمغيلي عدد من العلماء الذين اجتمعوا به وأخذوا منه كما تأثر به الذين أخذوا عن تلاميذه واحتفظوا برسائله وفتاويه، ومن أولئك: الشيخ البكري البرناوي، والشيخ سليمان الوالي التاركي، إلى أن جاء أكبر مشايخ ابن فودي وهو الشيخ جبريل بن عمر الذي كان تلميذا لأحد تلاميذ المغيلي⁸.

وقد واصل الشيخ جبريل بن عمر -مع كونه تلميذا لأحد تلاميذ المغيلي- الحركة العلمية والدعوة المغيليتين وتعلم على يديه خلق كثير صاروا علماء متفوقين وأدباء مبرزين وشيوخا ربانيين وقادة مجددین حملوا لواء العلم وثقافة الإسلام إلى أركان نيجيريا شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، من بينهم الشيخ عثمان بن فودي.

تأثر ابن فودي بفتاوى المغيلي ورسائله وسجل لنا في مؤلفاته تلك الفتاوى والرسائل، ومن ذلك: "رسالة المغيلي إلى سلطان أكدر"، و"وصية المغيلي في أمور السلطان لسلطان كانو محمد رنفا"، و"أجوبة الفقير على أسئلة الأمير" كتبها المغيلي لمحمد أسكيا الكبير سلطان سنغاي. كل ذلك من آثار المغيلي الذي هو أحد علماء المغرب الذين لهم آثار في غرب أفريقيا وفي نيجيريا بالقرن العاشر الهجري⁹.

التأثر والتأثير في مجالي الدعوة والتصوف

يتميز العلماء المغاربة بمزايا تخلصهم وتفردهم وتجعلهم متميزين عن غيرهم من علماء المشرق، إذ اتجه العلماء المغربيون اتجاهها صوفيا، وأسسوا زوايا والتزموا بمبادئ التصوف، فخططوا مخططات ملموسة لإصلاح المجتمع الإسلامي الديني، وإزساخ الروابط الأخوية، وتربية النفوس تربية ربانية، وهذه الغاية تتطلب مزيدا من إخلاص العبد لربه، وبعده عن الظلم، ودفاعه عن أعراض الناس وحقوقهم. وذلك المطلب النبيل دفع العلماء المغاربة إلى رؤية التصوف من ضمن أسلحة نشر الإسلام والثقافة العربية في الربوع، فما من عالم مغربي إلا وهو داعية سلفي صوفي، وقد نمجوا في ذلك مسلك السلم والملاطفة عملا بقوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (سورة النحل، الآية: 125) حتى اعتنق الكفار على أيديهم الإسلام أفواجا.

ومن هؤلاء السلفيين بعد قائد حركة المرابطين عبد الله ياسين الشيخ المفسر القدير والفقير المدقق المحدث الثقة الإمام يوسف بن عبد البر القرطبي المغربي، والقاضي عياض، وأبو مدين شعيب المغربي الذي أم رجال الصوفية في الشرق والغرب معا. ومن العلماء المغربيين الصوفيين سليمان الجزولي واضع "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" المتوفى 870هـ، ولقد أثر هذا الكتاب تأثيرا منقطع النظير في الأوساط الإسلامية في نيجيريا، حتى لا يكاد يجمعهم مجمع تضرعي إلا تتلى فيه أوراد وأذكار دلائل الخيرات.

ولا يتم هذا الجانب الصوفي المغربي إن لم نذكر الصوفي الكبير الشيخ أبو العباس بن أحمد بن محمد بن المختار التيجاني (1737-1815)، فهو وإن كان جزائريا مولدا إلا أنه لما شعر نحو نزعة صوفية لجأ إلى فأس ودرس أسس الطرق الصوفية. وقيل إن انتقاله إلى فأس نتج بسبب اضطهاد الأتراك له، وفي ذلك يقول أحمد بن خالد الناصري في كتاب (الاستقصاء):

إن الشيخ أرسل عند وصوله إلى فأس رسولا إلى مولاي سليمان يخبره بأنه هاجر بسبب إرهاب الأتراك وظلمهم. ولما اجتمع معه السلطان ورأى سمته

ومشاركته في العلوم أقبل عليه وأعطاه دارا معتبرة من دوره، ورتب له ما يكفيه وأقبل عليه الخلق واشتهر أمره بفاس والمغرب.¹⁰

أما انتشار الطريقة التيجانية في بلاد الهوسا وغرب إفريقيا فيرجع ذلك إلى جهود الحاج عمر الفوتي التكروري الذي زار دولة سوكو بعد اعتناقه الطريقة التيجانية وتلقيه دورها على أيدي الشيخ أحمد النقييل الفوتاجالوني¹¹. وبذلك انتشرت الطريقة التيجانية في أنحاء نيجيريا شمالا وجنوبا، وأثرت تأثيرا معتبرا في نشر الدعوة الإسلامية والثقافة العربية.

هذا ويوجد في ربوع نيجيريا مثل ميدوغري، وسوكوتو، وكنو، وزاريا، وإلورن، وإبادن، وليغوس، وغيرها أعلام صوفيون تيجانيون يقومون بتوجيه المريدين وإرشاد الشباب المسلمين في حلقات الزاوية، والمجالس الدينية، والمساجد الجامعة، والمنتديات العلمية أو الثقافية. ومن هؤلاء الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، والشيخ طاهر بوتشي، والشيخ أبو بكر عتيق، والشيخ عبد الله أبو بكر صاحب الورد بالورن، وقد أثر العلماء المغاربة في هؤلاء تأثيرا بارزا حتى نرى في أنحاء نيجيريا من لا ينتمي إلى الطريقة التيجانية، ومع ذلك لا يمر عليه يوم من دون أن يذكر بعض أورداد الطريقة التيجانية. وخير مثال لذلك صيغة "صلاة الفاتح" حيث لا تجد مجلسا تضرعيا إلا وتذكر فيه صلاة الفاتح. وقد نالت الطريقة التيجانية قبولا واستجابة لدى كثير من المسلمين في نيجيريا، حتى تسمى بيت من بيوتات مدينة إلورن بولاية كوارا — (Ile Oniwiridi) أي منزل صاحب الورد، وتسمى بيت آخر — (Ile Onisawi) أي منزل صاحب الزاوية.

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة التي قام بها الباحث حول تأثير العلماء المغاربة في علماء نيجيريا يمكننا الوقوف على بعض انتاجات هؤلاء العلماء وحركاتهم العلمية والأدبية والدعوية والصوفية وتأثير ذلك كله في إنتاجات علماء نيجيريا. وقد عاجلت المقالة بعد المقدمة النقاط التالية:-

1- تأثير العلماء النيجيريين بعلماء المغرب.

2- التأثير والتأثير في مجال التعليم.

3- التأثير والتأثير في مجالي الدعوة والتصوف.

وقد عالج الباحث هذه العناصر الفرعية قدر الإمكان، وأمله أن يكون هذا البحث قد حقق بعض الغاية التي يرمي إليها. أخيراً نقترح لمنظمي هذا المؤتمر العلمي -بعد تقدير جهودهم المضنية- أن لا يهتوا في إقامة مثل هذا المؤتمر سنوياً لإبراز كنوز شيوخنا العلمية والثقافية، ومدى ما بين العرب الأمازيغ وغرب أفريقيا بصفة عامة، ونيجيريا بصفة أخص، من علاقة أخوية دينية علمية ثقافية، ونوثق ونعمق بذلك علاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية، والأمنية.

هوامش ومراجع:

- 1- مشهود محمود محمد جمبا، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا خلال خمسين عاماً من الاستقلال، (الكتاب الثاني) (تحرير) إلورن -نيجيريا، مطبعة ألي، 1435هـ/2013م، ص5-8
- 2- مشهود محمود محمد جمبا، علماء الإمارة ترجمة نخبة من أعلام إمارة إلورن ج1، (تحرير)، القاهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص9-14
- 3- عثمان عبد السلام الثقافي، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1430هـ/2009م، ص19-27
- 4- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، نيل الأمان في شرح التهاني، دمشق، مطبعة الجمهورية، (بدون تاريخ)، ص78-79
- 5- عبد الله بن محمد بن فودي، تزيين الورقات، طبعه ونشره الأستاذ معلم أبو بكر بن عثمان الملقب بـ (بابي) مع شريكه الحاج عبد الرحمن بن الحاج عثمان المغربي، سوكونو، 1383هـ/، ص22-23
- 6- آدم عبد الله الإري، آثار المغاربة في نشر الإسلام والعربية في غرب أفريقيا ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 2016م، ص25-28
- 7- آدم عبد الله الإلوري، المرجع نفسه، ص26-27
- 8- آدم عبد الله الإلوري، المرجع نفسه، ص28
- 9- المرجع نفسه، ص28
- 10- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، القاهرة مكتبة مدبولي، المطبعة الفنية، 1410هـ/1989م، ص63
- 11- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع نفسه، ص65-66